المحاضرة الثامنة في العقيدة للفرقة الثانية عام ١٤٣٦ هـ

- وصلنا فى باب " **ما جاء فى التطير**" إلى :

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأبى داود - بسند صحيح - عن عُقبة بن عامر، قال: ذُكرتْ الطيرةُ عند رسول الله ﷺ، فقال: «أحسنُها الفألُ، ولا تَردُّ مسلمًا، فإذا رأى أحدُكم ما يكره، فليقُل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» .

- وقد ضعّف إسناده الشيخ الألبانى – رحمه الله ، وإن كان حسّن إسناده غيره من أهل العلم

شرح الحديث :

قوله: فقال: «أحسنُها الفأل» قد تقدَّم أنَّه ﷺ كان يُعجبه الفأل.
وروى الترمذىُّ وصححه، عن أنس: أنَّ النبى ﷺ كان إذا خرج لحاجته، يُحبُّ أن يسمع: يا نجيحُ، ياراشد .

أى كان النبى صلى الله عليه وسلم يستبشر وتنشرح نفسه ، إذا قرعت سمعه هذه الكلمات ولكن لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يتقصّد سماعها ؛ فيذهب لأحد كى يسمعها وإنما كان يحب سماعها .

يقول فى حاشية الفضل :

" وفى هذا الباب : **قول النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة فى يوم الحديبية لما جاء سهيل بن عمرو : " قد سهل لكم أمركم أو قد سهل لكم من أمركم "** .

- وقال **ابن حجر** فى الفتح :

من شرطه (أى الفأل) : ألا يُقصد إليه ، فيصير من الطيرة (وهذا شرط مهم جدًا)

- قال **ابن بطال** :

جعل الله فى فطرة الناس محبة الكلمة الطيبة ، والأنس بها ، كما فطر فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق ، والماء الصافى ، وإن كان لا يملكه ولا يشربه " .

وروى أبو داود، عن بُريدة: أن النبى ﷺ كان لا يتطير من شىء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمَه رُئى كراهيةُ ذلك فى وجهه . وإسنادُه حسن. وهذا فيه استعمالُ الفأل.

(كره الاسم) كمن يُسمى حرب ، أو شهاب ، وهذه الاسماء كان النبي لا يستحبها .

ولكن يوجد نقطة مهمة والتى ذكرت أول الحديث ، وهي (كان لا يتطير)

هذا هو الضابط الذى يجب أن نلتزم به ،

فالضابط : " فلا تردوا مسلما " كما ذكر فى حديث عقبة بن عامر

أى لا ترتب عملا على ما يقع فى نفسك .

قال ابنُ القيِّم: أخبر ﷺ أنَّ الفأل من الطيرة، وهو خيرُها. فأبطل الطيرة، وأخبر أنَّ الفأل منها ولكنه خيرٌ منها. ففصَل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرَّة الآخر، ونظيرُ هذا: منعُه من الرُّقى بالشرك، وإذنُه فى الرّقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة .

قوله: «ولا تردُّ مسلمًا» قال الطيبى. تعريضٌ بأنَّ الكافر بخلافه.

والمعنى : أيها المسلم المستسلم لأمر الله الشرعى والكونى ، لا تتطاير ولا تتشائم بمثل هذه الأشياء .

قوله: «اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت/ أى: لا تأتى الطيرةُ بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذى تأتى بالحسنات، وتدفع السيئات.

- والحسنات هنا : النّعم ، والسيئات : المصائب ؛ كقوله " **وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَـٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** " .

ما الفرق بين الآية الأولى والآية الثانية ؟

أما الآية الأولى فالمراد بها : أن المصائب والنعم كلها من عند الله خلقًا وإيجادًا وتقديرًا

وأما الآية الثانية فالمراد بها : ما أصابك من حسنة فمن الله ، أى : توفيقا وتنعما وتفضلا ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى بسببها

كما قال تعالى : " **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** " .

ففيه: نفىُ تعلُّقِ القلبِ بغير الله فى جلب نفعٍ أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد. وهو دعاءٌ مناسب لمن وقع فى قلبه شىءٌ من الطيرة، وتصريحٌ بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضراً، ويُعدُّ مَن اعتقدها سفيها مُشركا.

هذا هو : مناسبة الحديث للباب ولكتاب التوحيد .

فعند قولنا لهذا الذكر نكون قد ذكّرنا أنفسنا بهذه الحقائق الشرعية ؛ لنستعين بذلك على دفع وساوس الشيطان ، ودفع خواطر النفس السيئة التى تحاول أن تجعل النفوس متشائمة .

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» استعانةٌ بالله تعالى على فعل التوكل، وعدمِ الالتفات إلى الطيرة التى قد تكون سبباً لوقوع المكروه عقوبةً لفاعلها. وذلك الدعاءُ إنَّما يصدر عن حقيقة التوكل، الذى هو أقوى الأسبابِ فى جلب الخيرات ودفع المكروهات.

هذه لفتة لطيفة من المصنف وفيها فائدة :

" أن الطيرة التى قد تكون سببا لوقوع المكروه ؛ عقوبة لفاعلها "

حيث أن المتشائم يمكن أن يصيبه الضرر لسببين ؛

الأول : أن التطير والتشاؤم من المعاصي وهو من الشرك الأصغر أو عامته من الشرك الأصغر فإذا فعل الإنسان المعصية فإنه بذلك يعرض نفسه للعقوبة .

الثانى : أن التشاؤم سوء ظن بالله " **فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِيْنَ** " ؟!!

وكما قال تعالى فى الحديث القدسي " **أنا عند ظن عبدى بى ، فليظن بى ما شاء** " .

ولذلك ترى الكثير عند سؤالهم عن حالهم تجدهم دائما يشكون الضنك والمرض والفقر .

والحولُ والتحول: الانتقالُ من حالٍ إلا حال، والقوَّةُ على ذلك بالله وحده.

ففيه: التبرى من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد فى الربوبية، وهو الدليلُ على توحيد الإلهية الذى هو إفرادُ الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيدُ القصد والإرادة. وقد تقدَّم بيانُ ذلك بحمد الله.

الحديث الرابع في الباب :

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود، مرفوعاً: «الطِّيرةُ شركٌ، والطيرة شرك» وما منا إلا!، ولكن الله يُذْهِبُه بالتوكل. رواه أبو داود، والترمذي، وصحَّحه(١)، وجعل آخرَه من قول ابن مسعود.

وهذا صريحٌ في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلُّق القلبِ على غير الله تعالى.

من الشرك ، لِمَ ؟

١ - لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى .

٢- ولما فيها من اعتقاد شيء سببا ، وهو ليس بسبب .

قال ابنُ حمْدان : تُكره الطيرة، وكذا قال غيرهُ من أصحاب أحمد.

قال ابنُ مُفلح: والأولى القطعُ بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهة الاصطلاحية؟!! .

وقد أجاد ابن مفلح فى هذا التقرير ، إذ أقل درجات الشرك أن يكون شركا أصغر ، وهو محرم .

قال في (شرح السنن): وإنَّما جعل الطيرةَ من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنّ الطيرة تجلبُ لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى .

وهو الإعتقاد فى شيء أنه سبب ، وهو ليس بسبب .

قوله: (وما منا إلا) قال أبو القاسم الأصبهانى ، والمُنذرى: فى الحديث إضماراً، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع فى قلبه شيءٌ من ذلك. انتهى .

- فهذا من باب الوساوس والخواطر وأحاديث النفس ، مما لا يُرضي الله عزوجل ،

وعلاجه شيئان :

١- دفعه بالتوكل .

٢- ألا يترتب عليه عملا فى الظاهر ، فلا يردك عن شيء أنت ماضٍ إليه .

قال فى حاشية الفضل :

١- والطيرة تكون شركا أكبر، إذا اعتقد أن هذه الأشياء المخلوقة كالطيور مثلا ، تملك له ضرًا أو نفعا من دون الله .

٢- وإن اعتقد أنها أسبابا أو علامات فهو شرك أصغر ؛

لأن السبب إما أن يكون سببا ظاهرا يشترك فيه بمعرفة كونه سببا للخير أم سبب للشر لكل الناس . وهذه الأسباب مأمور بالأخذ منها ،

كما قال النبى صلى الله عليه وسلم:" **احرص علي ما ينفعك** "

وإما أن يكون سببا باطنا لا يُعرف إلا من قِبَل الشارع ، كمعرفة أن المعصية سبب البلاء ، وأن صلة الرحم سبب للرزق وطول العمر .

- أما أن يدعى أحدا أن شيئا هو سبب للخير أو للشر دون دليل شرعى ولا كونه سببًا ظاهرًا فهو كذب على الشرع وكذب على القدر وذريعة إلى الشرك الأكبر فلهذا كان من الشرك الأصغر " .

وهذه القاعدة مضطردة فى التداوى والتبرك والرقى والتمائم وغيرها .

قوله: (ولكن الله يُذهِبُه بالتوكل). أى: لكن لمَّا توكَّلنا على الله فى جلب النفع أو دفع الضر، أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (وجعل آخرَه من قول ابن مسعود)، قال ابنُ القيم: وهو الصواب؛ فإنَّ الطيرة نوعٌ من الشرك .

الحديث الخامس في الباب :

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: ولأحمد، من حديث ابن عمرو: «من ردته الطِّيَرةُ عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفَّارةُ ذلك؟ قال: «أنْ تقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طير إلا طيرُك، ولا إله غيرك» .

- صححه الشيخ الألبانى

قوله: «من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» وذلك أنَّ الطيرة هى التشاؤمُ بالشىء المرئى أو المسموع. فإذا ردَّه شىءٌ من ذلك عن حاجته التى عزم عليها ـ كإرادة السفر ونحوه ـ فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى وسمع تشاؤمًا، فقد دخل فى الشرك؛ كما تقدم. فلم يُخلص توكّلَه على الله بالتفاتة إلى ماسواه، فيكون للشيطان منه نصيب.

قوله: (فما كفارة ذلك)؟ إلى آخره. فإذا قال ذلك، وأعرض عمَّا وقع فى قلبه ولم يلتفت إليه: كفَّر الله عنه ما وقع فى قلبه ابتداءً؛ لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمِّن للاعتماد على الله وحده، والإعراضِ عمَّا سواه.

- وهذا دليل على أنه من الشرك الأصغر .

- وهذه فائدة فى الاهتمام بالأذكار النبوية والأدعية التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم فإنها أدوية نافعة .

- فمثلا يُذكر فى الأدب المفرد عند البخارى أن المرء إذا مدحه إنسان ،

فليقل : **" اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفرلى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون "** .

فأنت إن قلت هذا ، أذهب الله عنك ما تجده فى نفسك من المدح .

- ومثلًا الإنسان الذى يشعر بضعف عند القيام بالعبادات والأوراد المطلوبة يقول :

" اللهم أعنى علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " ، فيجد قوة لذلك .

- والإنسان الذى يجد عنده تشتت ، ولديه نوع من الاضطراب وعدم السكون ،

إذا دعى الله : **" اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ،**

ويامصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك " ، فإنه يستفيد من هذا الدعاء .

- فالإنسان إذا وقع فى قلبه شىء من التشاؤم فليلزم الذكر النبوى الذى فيه عرض للحقائق والأخبار التى تعينه على التوكل وتذهب عنه ما يجده فى قلبه .

وتضمَّن الحديث: أنَّ الطيرة لا تضرُّ من كرهها ومضى فى طريقه، وأمَّا من لم يُخلص توكله على الله، واسترسل مع الشيطان فى ذلك، فقد يُعاقب بالوقوع فيما يكره؛ لأنه إعراضٌ عن واجب الإيمان بالله، وأنَّ الخير كلَّه بيده. فهو الذى يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذى يدفع عنه الضر وحده بقُدرته ولُطفه وإحسانه. فلا خير إلا منه، وهو الذى يدفع الشرَّ عن عبده، فما أصابه من ذلك فبذنبه؛ كما قال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نَفْسِك﴾.

الحديث السادس في الباب :

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله، من حديث الفَضل بن عبَّاس: «إنَّما الطيرةُ ما أمضاك أو رَدَّك» .

- وضعّف إسناده الشيخ أحمد شاكر وقال إسناده منقطع .

- وما ذكر فى الحديث هو حد أو تعريف للطيرة أو التشاؤم التى يؤاخذك الله بها شرعا فالحد والتعريف هو : ما أمضاك أو ردك .

وأما الذى يخطر فى القلب ويجول فى النفس وما يتردد من وساوس ، فإنه لا قيمة له .

قوله: «إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردك» هذا حدُّ الطيرة المنهى عنها، لأنها: ما يحمل الإنسان على المُضى فيما أراده، ويمنعُه من المضى فيه كذلك.

وأمّا الفألُ الذى كان يُحبه النبىُّ ﷺ: فيه نوعُ بشارة، فيُسرُّ به العبدُ ولا يعتمد عليه؛ بخلاف ما يُمضيه أو يردّه؛ فإنَّ للقلب عليه نوعُ اعتماد، فافهم الفرق، والله أعلم.

- **قال : فيه مسائل :**

• **الأولى :** التنبيه على قوله **" أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ "** ، مع قوله **" قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ "** .

- **ما الفرق بين الآيتين ؟**

١- ألا إنما طائرهم عند الله : أى ما يصيبكم من الشقاء والبلاء ، هو من عند الله عزوجل تقديرا وإيجادا وخلقا .

٢- إنا تطيرنا بكم : تشائمنا بكم ، أي : سينزل بنا عذاب أو بلاء بسببكم .

قالوا طائركم معكم : أى أن سبب الشؤم الذى ينزل عليكم به البلاء هو من كفركم وشرككم .

• **الثانية :** نفى العدوى .

قال النبى صلى الله عليه وسلم **" لا عدوى ولا طِيَرَة "** .

لا عدوى : أى لا عدوى بذاتها وليس نفيًا للسبب ، كالإحراق بالنار ، فالنار تحرق ولكن بمشيئة الله ، وإذا أراد تعالى أن يعطلها ، عطّلها ، فليست بخارجة عن مشيئته تعالي .

وهذا ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبينه للأعرابى .

ما الذى جعلنا نرجح هذا الكلام ؟؟

قوله صلى الله عليه وسلم : **" فِرّ من المجذوم ، فرارك من الأسد "** .

• **الثالثة :** نفى الطيرة .

• **الرابعة :** نفى الهامة .

وهي نوع من أنواع الطيور التى يتشائم بها كالبومة ونحوها

• **الخامسة :** نفى الصفر.

قال النبى صلى الله عليه وسلم : **" لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولاصفر "** .

- الهامة والصفر المقصود بهما معنيان :

١- شهر صفر وكانوا يتشائمون به .

٢- دابة أو دودة فى البطن معدية .

والنهى هنا فى صيغة النفى ، أى : لا تتشائموا .

• **السادسة :** أن الفأل ليس من ذلك ، بل مستحب .

حديث : **" ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل "** .

فالفأل ليس من الطيرة المنهى عنها ،

أو كما قال ابن القيم حيث فصل بين الفأل والطيرة ، وكما فصل بين الرقى الشرعية والرقى الشركية .

• **السابعة :** تفسير الفأل .

كان يعجبه صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة ، فالفأل هو الكلمة الطيبة .

• **الثامنة :** أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر ، بل يذهبه الله بالتوكل .

حديث " **الطيرة شرك وما منا إلا ، ولكن يذهبه الله بالتوكل** " .

• **التاسعة :** ذكر مايقول من وجده .

" **اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ،**

اللهم لا طير إلا طيرك ولا إله غيرك " .

• **العاشرة :** التصريح بأن الطيرة شرك .

كما جاء فى حديث ابن مسعود .

• **الحادية عشرة :** تفسير الطيرة المذمومة .

التى ذكرت فى حديث الفضل بن عباس : " **إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك** " .

أ.هـ

•••••••

بــاب
ماجــاء في التنجيم

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء فى التَّنجيم.

ش: قال شيخُ الإِسلام: التنجيم: هو الاستدلالُ بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية .

وقال الخطَّابى: علمُ النجوم المنهى عنه: ما يدَّعيه أهلُ التنجيم، من علم الكوائن والحوادث التى ستقع فى مُستقبل الزمان، كأوقات هبوب الريح ومجىء المطر، وتغيُّر الأسعار، وما فى معناها من الأمور التى يزعمون أنَّها تُدرك معرفتُها بمسير الكواكب فى مجاريها، واجتماعها وافتراقها يدَّعون أن لها تأثيراً فى السُّفليات. وهذا منهم تحكّمٌ على الغيب، وتعاطٍ لعلمٍ قد استأثر الله به، لا يعلم الغيب سواه .

- هنا الأمثلة التى أتى بها قد تكون في وقته من قبيل التنجيم المحرّم ،

لكن الآن قد اختلف الأمر، فصار هذا علمٌ ظاهرٌ ، له أسباب ظاهرة ،

ولكن لابد أن يعلق كل هذه النتائج على المشيئة

لكنه ليس من التنجيم المحرم ، وليس من العلوم التى نهى عنها الشرع .

يقول فى حاشية الفضل :

المقصود التنجيم والإستدلال بمطالع النجوم والكواكب وغروبها على وقوع بعض الحوادث ومنه قراءة أو كتابة حظك اليوم كما هو مشاهد فى الجرائد والمجلات والقنوات .

فالمقصود بالتنجيم الإستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وهو نوعان :

١- علم التأثير :

أو العلم الروحانى وهذا النوع من التنجيم باطل ويعد شركا لله منافيا للتوحيد ؛ لدعوى مشاركة الله فى علم الغيب أو تصديق من ادّعى ذلك ، ولما فيه أيضا من تعلق القلب بغير الله .

والأدلة على حرمة ذلك :

وقد جاءت الأحاديثُ عن النبى ﷺ بإبطال علم التنجيم؛ كقوله: «من اقتبس شُعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر. زاد ما زاد» .

وعن رجاء بن حَيْوة ، أنَّ النبى ﷺ قال: «مما أخافُ على أمتى: التصديقَ بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيفَ الأئمة». رواه عبدُ بن حُميد .

وعن أبى محجن، مرفوعاً «أخافُ على أُمتى ثلاثاً: حيفَ الأئمة، وإيمانًا بالنجوم، وتكذيباً بالقدر» رواه ابنُ عساكر، وحسَّنه السيوطى .

وعن أنس، مرفوعًا «أخافُ على أُمتى بعدى خَصلتين: تكذيباً بالقدر وإيماناً بالنجوم». رواه أبو يعلى، وابنُ عَدى، والخطيب فى (كتاب النجوم) ، وحسَّنه السيوطى أيضاً.

والأحاديثُ فى ذمِّ التنجيم والتحذير منه كثيرة.

٢- علم التسيير :

أو علم الفلك وهو تعلم كيف تسير النجوم ، وهو الاستدلال بالشمس والقمر والنجوم والكواكب على القبلة والأوقات والجهات ، وهذا جائز لا بأس به ، بل كثير منه نافع و وسيلة لمعرفة العبادات وإلى الاهتداء به في معرفة الجهات وهذا ما عليه الجمهور .

والأدلة علي إباحة ذلك :

قال تعالى : " **وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**" .

" **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا** " .

وعن مجاهد : أنه كان لا يرى بأسا أن يتعلم الرجل منازل القمر .

الأثر الأول في الباب :

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال البخاريُّ في (صحيحه): قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدَى بها. فمن تأوَّل فيها غيرَ ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به. انتهى .

- هذا الأثر علقه البخارى فى صحيحه بصيغة الجزم فهو صحيح .

وأخرجه الخطيبُ فى (كتاب النجوم)، عن قتادة، ولفظُه، قال: إنَّما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينةً للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطى فيها غيرَ ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظَّه، وأضاع/ نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به. وإنَّ ناساً جهلةً بأمر الله، قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا كذا. ولعمرى ما من نجمٍ إلا يولد به الأحمرُ والأسود، والطويل والقصير، والحسن والدميم، وما عِلمُ هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيءٍ من هذا الغيب. ولو أنَّ أحداً علِم الغيب لعلمه آدمُ الذى خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماءَ كلِّ شيء. انتهى[1].

وتأمَّل ما أنكره هذا الإمامُ، مما حدث من هذه المنكرات فى عصر التابعين. ومازال الشرُّ يزداد فى كل عصرٍ بعدهم، حتى بلغ الغايةَ فى هذه الأعصار، وعمَّت به البلوى فى جميع الأمصار، فمقلٌّ ومستكثر. وعزَّ فى الناس من يُنكره، وعظُمت المصيبة فى الدين. فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: (خلق الله هذه النجوم لثلاث). قال الله تعالى: ﴿**ولَقد زيَّنا السماء الدُّنيا بمصابيح وجعلناها رُجوماً للشياطين**﴾. [الملك: ٥] وقال تعالى: ﴿**وعلاماتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يهتدون**﴾. [النحل: ١٦].

وفيه: إشارةٌ إلى أنَّ النجوم فى السماء الدنيا؛ كما روى ابنُ مردويه، عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ «أما السماء الدنيا: فإنَّ الله خلقها من دخان، وجعل فيها سراجاً وقمراً مُنيراً، وزيَّنها بمصابيح، وجعلها رجوماً للشياطين، وحِفظاً من كلِّ شيطانٍ رجيم»[2].

قوله: (وعلامات). أى: دلالات على الجهات. يُهتدى بها، أى: يهتدى بها الناسُ فى ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿**وهو الذى جعل لكمُ النجُومَ لتهتدوا بها فى ظُلُمات البر والبحر**﴾. [الأنعام: ٩٧] أى: ليعرفوا بها جهةَ قصدهم، وليس المرادُ أنه يُهتدى بها فى علم الغيب، كما يعتقده المنجِّمون.

وقد تقدَّم بطلانُه وأنَّه لا حقيقة له؛ كما قال قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك - أي: زعم فيها غيرَ ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث - فقد أخطأ، حيث زعم شيئاً ما أنزل الله به من سلطان، وأضاع نصيبهَ من كلِّ خير؛ لأنه أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه .

فإن قيل: المنجِّمُ قد يصدق!! قيل: صدقُه كصدق الكاهن، يصدقُ في كلمةٍ ويكذب في مائة. وصدقُه ليس عن علم، بل قد يوافق قدراً فيكون فتنةً في حق من صدَّقه.

وعن ابن عباس/ رضي الله عنهما - في قولِ تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسِيَ أنْ تميد بِكُمْ وأنهاراً وسُبُلاً لعَلَّكُم تهْتَدُون * وعلاماتٍ﴾. [النحل: ١٥ - ١٦].

فقوله: ﴿وعلامات﴾ معطوفٌ على ما تقدَّم، مما ذكره في الأرض، ثم استأنف، فقال: ﴿وبالنَّجْمِ هُمْ يهتدُون﴾ ذكره ابنُ جرير، عن ابن عباس بمعناه .

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وكره قتادةُ تعلُّمَ منازل القمر، ولم يُرخِّص ابنُ عيينة فيه. ذكره حربٌ عنهما. ورخَّص فى تعلُّمِ المنازل أحمدُ، وإسحاق .

ش: قال الخطَّابى: أمَّا علمُ النجوم الذى يُدرك من طريق المشاهدة والخبر، الذى يُعرف به الزوال، وتُعلم به جهةُ القبلة: فإنَّه غيرُ داخل فيما نهى عنه؛ وذلك أنَّ معرفة رصدِ الظل، ليس شيئاً بأكثر من أنَّ الظل مادام مُتناقصاً، فالشمسُ بعدُ صاعدة نحو وسط السماء من الأُفق الشرقى، وإذا أخذ فى الزيادة فالشَمسُ هابطة من وسط السماء نحو الأُفق الغربى. وهذا علمٌ يصحُّ إدراكُه بالمشاهدة، إلا أنَّ أهل هذه الصناعة قد دبَّروها بما اتخذوا له من الآلات التى يستغنى الناظرُ فيها عن مراعاة مُدَّته ومُراصدته.

وأمَّا ما يُستدلُّ به من النجوم على جهة القبلة: فإنها كواكبُ رصدها أهلُ الخبرة بها من الأئمة، الذين لا نشكُّ فى عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به عنها. مثل أنْ يُشاهدَها بحضرة الكعبة، ويُشاهدها على حال الغيبة عنها. فكان إدراكُهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذْ كانوا عندنا غيرَ متهمين فى دينهم، ولا مُقصّرين فى معرفتهم/ انتهى .

أى رخص فى تعلم منازل القمر ، أى : أوضاع القمر والنجوم فى السماء ، التى يستدل بها على جهة القبلة وعلى الإتجاهات للسفن التى تسير ليلا ، أو للأقوام الذين يسيرون فى الصحراء أو مايستدل به على الأوقات ، والقمر له ٢٨ منزلا .

لم كره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص فيها ابن عيينة ؟ ذلك من باب سد الذرايعة .

وقد كرهوا تأويلها ؛ لأن تفصيل مثل هذه الأحاديث يُذهب هيبتها فى نفوس العوام

فهى إن ذكرت فى معرض الوعظ فلا تفسرها واتركها كما هى ؛

لذلك فإن السلف كان من فقههم أن يقرأوا هذه الأحاديث فقط علي الناس .

الحديث الثالث في الباب :

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبى موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مُدمِنُ الخمر، وقاطع الرحم، ومصدِّقٌ بالسحر». رواه أحمد، وابن حبان فى (صحيحه) .

الشرح :

قوله: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة» هذا من نصوص الوعيد التى كره السلفُ تأويلَها، وقالوا: أمِرُّوها كما جاءت، ومن تأوَّلها فهو على خطر من القول على الله بلا علم.

وأحسنُ ما يقال: إنَّ كلَّ عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملّة الإسلام فإنَّه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذَّبه به فقد استوجب العذاب/ ، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته.

قوله: «مدمن الخمر» أى: المداوم على شربُها.

والخمر : هو كل ما غطى العقل على وجه اللذة والطرب .

قوله: «وقاطع الرحم» يعنى القرابة؛ كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾. [محمد: ٢٢] الآية.

قوله: «ومصدِّقٌ بالسحر» أى: مطلقاً، ومنه التنجيم؛ لِما تقدَّم من الحديث، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

ما علاقته بالباب ؟

قوله صلى الله عليه وسلم : **"من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر "** .

ففى هذا الحديث دلالة خفية على أن من صدّق بالتنجيم فقد صدق بالسحر ،

والمصدق بالسحر لا يدخل الجنة .

وقد كانوا يستخدمون مثل هذه الأشياء فى تحويل المعادن من رديئة إلي نفيسة أو العكس .

قال الذهبي في (الكبائر): ويدخل فيه تعلم السِّيميا وعملُها، وعقْد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباهُ ذلك بكلمات مجهولة.
قال: وكثيرٌ من الكبائر - بل عامتها إلا الأقل - يجهل خلقٌ من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيدُ عليه. انتهى .

قال : فيه مسائل :

- **الأولى :** الحكمة في خلق النجوم .

- أنها زينة للسماء ، ورجوم للشياطين ، وعلامات يُهتدى بها .

- **الثانية :** الرد على من زعم غير ذلك .

- لقول قتادة " من تأول فيها غير ذلك ، أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به " .

- **الثالثة :** ذكر الخلاف في تعلم المنازل .

- فقد كره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يُرخّص ابن عيينة فيه ، ورخص في تعلّم المنازل أحمد وإسحاق .

- **الرابعة :** الوعيد فيمن صدّق بشئ من السحر ولو عرف أنه باطل .

- من صدّق بشئ من التنجيم أو غيره من السر بلسانه ولو اعتقد بطلانه بقلبه ، فإن عليه هذا الوعيد . **أ.هـ**

أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ،،